اثرتها « وخصوصا بعد ان نما التفكير لازدهار العلوم في عصرنا الحاضر » . ويتعين على الناقد بعدئذ ان يصدر حكمه على العمل الادبي في اطاره الاجتماعي وبوضعه التاريخي ودوره العقائدي . وهذا ما يدعوه مندور بالنقد الايديولوجي . وهو المنهج الذي يقوم بالوظائف الرئيسية التالية: اولا، تفسير الاعمال الادبية والفنية، وتحليلها مساعدة لعامة القراء على فهمها ، وادراك مراميها القريبة والبعيدة . وفي هذه الوظيفة يعتبر النقد عملية خلاقة قد تضيف الى العمل الادبي او الفني قيما جديدة ربما لم تخطر للمؤلف على بال، وان لم تكن مقحمة عليه . ثانيا ، تقييم العمل الادبي والفني في مستوياته المختلفة ، اي في مضمونه وشكله الفني ، ووسائل العلاج كاللغة في الادب ، والتكوين والتلوين وتوزيع الضوء والظلال في التصوير مثلا ، وذلك وفقا لاصول كل فن مع مراعاة تطور تلك الاصول عبر القرون . ثالثا ، توجيه الادباء والفنانين في غير تعسف ولا املاء ، ولكن في حدود التبصير بقيم العصر وحاجات البشر ومطالبهم وما ينتظرونه من الادباء والفنانين .

ويتضح لنا من اصول هذا المنهج ان مندور قد احتفظ من مراحل تطوره السابقة بما تحتويه من قيم ايجابية وعناصر لا غنى عنها . احتفظ من المرحلة الاولى بحاسة الذوق المدرب ، ومن المرحلة الوسطى بالمعرفة العقلية كاداة لتحليل مصادر الذوق . ثم اضاف ما تنطوي عليه المرحلة الجديدة من التزام ايديولوجي ازاء المجتمع . ولقد كان هذا المزيج من المراحل الثلاث بمثابة المرقف المتكامل لمندور من نظرية النقد ، فهو لم يهمل عنصرا هاما واحدا من العناصر التي ينفرد بها احد الاتجاهات الرئيسية في النقد الحديث . وقد كان هذا التكوين الخاص لمندور بمثابة العامل الاول في اوجه الاختلاف بينه وبين بقية النقاد الواقعيين . فلم ينزلق قط الى مستوى استخدام الكليشيهات الجاهزة التي تقتل الادب والنقد معا بتجميدهما في اطر الشعارات السطحية الساذجة. كما انه لم ينزلق الى مستوى المجاملات المذهبية التي من شأنها دائما ان تخلق عالما ادبيا قائما على الزيف. لقد ظل الى آخر لحظات عمره ناقدا ملتزما بقضايا الشعب ، واعيا بان الجمال الفني احد هذه القضايا .

أدباؤنا بين الرصافة والجسر

بغداد ، من عبد الواحد لؤلؤة :

بين الخامس عشر من شباط (فبراير) الماضي والحادي والعشرين منه ، انعقد ببغداد مؤتمر الادباء العرب الخامس . وقد دعت الى هذا المؤتمر لجنة تحضيرية منبثقة عن جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين . وفي مساء التاسع عشر افتتح مهرجان الشعر السادس، بدعوة من المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في الجمهورية العربية المتحدة ، واستمر الى الخامس والعشرين . وكانت هاتان المناسبتان الادبيتان تحت رعاية السيد رئيس الجمهورية العراقية . وقد شارك عدد من السادة الوزراء في الاحتفاء بالمؤتمرين ومن تبعهم بشتى الوسائل ، سواء كانت بدعوات الى « ليلة بغدادية » من الطرب والانس ، او بضرب الثريد على موائد عامرة تتضاءل امامها ولائم الاسكندرية التي غرق فيها انطوني الى شحمة اذنه . وليست ملاحظتي هذه من باب الانشغال عن جدية رسالة الادب وطابعه الرزين . فقد كانت دينامية المؤتمرين مزدوجة الشخصية ، بحيث انهم كانوا يقضون في الولائم والحفلات ساعات تضارع ما يقضونه في قاعة الشعب بين المحاضرات والمناقشات . ولاحظت كذلك ان اغلب المحاضرات بين الخامسة والثامنة مساء في قاعة الشعب كانت تختتم على عجل ، والمعروض ان تعقبها فترة مناقشة ، ولكن عريف الحفل كان يعتذر عن تحديد فترة المناقشة لان المؤتمرين كانوا مرتبطين بمسؤوليات اخرى ، في القصر الجمهوري ، او فندق بغداد ، او المجلس الوطني، او قاعة الخلد.

والملاحظ ان هذا المؤتمر جاء في اعقاب سلسلة من المؤتمرات، امتدت على مدى شهرين او اكثر ، ولم يسبق لها مثيل في تاريخ بغداد . وقد اثر على المؤتمر تأخر انعقاده ، اذ حرمه من حضور بعض الشخصيات الادبية التي حالت دون حضورها « اسباب وظيفية » كما ذكرت صحيفة المؤتمر اليومية ، او اسباب مرضية . وهذه

الاخيرة اسباب مزعجة ، فقد كانت صحيفة المؤتمر تنشر رسائل الاعتذار التي تبعث في القارىء الالم، اذ يقرا عن عدد الادباء المصابين بالسكر وبالروماتيزم وغيرهما . ومن ناحية اخرى ، فقد وصلت الدعوات « متأخرة جدا بالنسبة للوقت المعطى لاعداد الابحاث ، مما قد يؤثر تأثيرا عميقا على اعدادها» كما ذكر الدكتور سهيل ادريس في رسالة نشرتها جريدة المؤتمر . ومع ذلك فقد كان عدد الحاضرين مباركا ، ومباركا جدا ، حيث ضاقت بهم فنادق الدرجة الاولى في العاصمة العراقية ، وكانت السيارات الفخمة التي تحمل لوحة مؤتمر الادباء العرب تنتشر بين الرصافة والجسر ، مثل عيون الماء تماما .

ومن المؤسف ان بعض ابحاث المؤتمر جاء على شكل اكاديمي ازعم انه لا يصلح للالقاء من على منبر ، ولكن الذي يشفع له فيكسبه الصفة المنبرية هو هذا الفيض الزاخر من المقتطفات الشعرية ، والتي هي من الشعر الذي « يهزك عند سماعه » ليكون خليقا ان يقال له شعر . وهنا تحضرني ملاحظة الدكتور يوسف ادريس عندما سأله مندوب صحيفة المؤتمر فقال ان مؤتمر الادباء «يكاد ان يكون مؤتمر شعر، يرى ان الادب هو الشعر، الشعر بمعناه التقليدي اللفظي الذي يسلب منه الروح... لقد اصبح للادب من قديم الزمان اشكال متطورة عريقة كالقصة والرواية والمسرحية ، والغريب ان احدا لم يذكر هذه الاشكال في المؤتمر وكأنها خارج دائرة الادب ».

احسب ان مثل هذه الملاحظة كانت تدور في مخيلة عدد من الادباء الذين لم يحضروا المؤتمر والذين لم يعجبهم هذا « التحديد » للمواضيع. فكان ان جاء عدد من الكتاب الذين قدموا ابحاثا لم ترتفع في كثير من الاحيان عن مستوى الصحافة الادبية . ومع احترامي لهذا النوع من الكتابة احيانا فانا لا استطيع تجاهل ما يتسم به هذا النتاج من عجلة وعوز الى الروية واستيعاب الموضوع ، وهي امور تحدد عمق البحث . ان الاستشهاد بما هو دون الجيد امر محرج، خصوصا وانا اكتب من بغداد، والمفروض انني اشارك في الضيافة ، ولو عن طريق توزيع الابتسامات على الضيوف . ولكن يجب ان نذكر دائما ان الابحاث التي نشرت في « الآداب » هي خير ما قدم للمؤتمر ، وما نشر لم يصل عدده العشرة من اصل ما يزيد على الثلاثين بحثا . واضافة الى الصحافة الادبية التي كانت تسم غالبية الابحاث فهناك الصحافة الاكاديمية: كثير من الاشارات والشروح والمراجع حول امور لا تخفى على كثير من السامعين ، واغلب السامعين ادباء وكتاب ذوو شأن . واحسب انه ليس من المناسب ان يخاطب جمهور من هذا النوع بعبارات يكثر ورودها في الكتب المدرسية وشروح النصوص . اما الابحاث التي دارت حول « الادب وفلسطين » فقد كانت مترعة حتى العياء بالمقتطفات الشعرية التي لم تكن في الغالب من خير الشعر رغم انها كانت تستثير التصفيق والاستعادة . فكيف يمكن لباحث ان يشرح نقطة معينة ثم يستشهد بامثلة من الشعر تملأ صفحتين احيانا ؟ وكيف ينتظر باحث ان يلقي بحثا تكون فيه الامثلة والمقتطفات مستمدة من نفس المراجع في الابحاث المشابهة وينتظر ان يقابله الجمهور بانصات واهتمام ، ثم يبقى ليناقشه بعد ذلك ؟ ان عددا من الابحاث كانت تردد نفس الافكار ونفس المقتطفات مما جعلها تخلو مما يثير ويدعو الى النقاش . واستثني من ذلك بحثين : اولهما لسميرة عزام ، التي بحثت « دور الادب في معركة فلسطين » ، والثاني لنازك الملائكة « الادب والغزو الفكري » . ويكاد هذا البحث ان يكون الوحيد بين الابحاث التي اثارت كثيرا من النقاش والجدل ، وقد فهم اغلب الحاضرين من حديث الشاعرة العراقية انها تتوجس خيفة من الثقافة الغربية ومن غزوها لافكارنا وانها تريد التأكيد بصورة اكثر جدية مما يحصل الآن على التراث العربي الاسلامي وجعله اساسا ومنطلقا لثقافاتنا . والذي حصل ان الدكتور سهيل ادريس تصدى بحماس في الرد على السيدة نازك ، ربما لان هذا الحديث لم يكن متوقعا من اديبة حملت لواء التجديد في الشعر العربي ، وكان شعرها يفصح عن اعجاب واحيانا عن تقليد لكثير من مظاهر الثقافة الغربية . وكان تعليق الشيخ امين الخولي مبعثا لعجب الجمهور الذي عجب لحديث السيدة نازك . ان الخولي ينكر على المؤتمر تسمية « الغزو الفكري » اذ قال ان العالم قد اصبح بلا حدود ولا قيود، فلم تعد المسألة مسألة غزو بل مسألة جو لتنفسه من حولنا. فماذا ننتظر ؟ لماذا لا نواجه الحقيقة العارية ونقر اننا مقصرون وان الحياة قاسية وتتطلب عملا حازما وتخطيطا لازما ؟

والحديث عن الشيخ امين الخولي يقود ، بحكم التبعية ، الى الحديث عن عقيلته الدكتورة عائشة عبد

الرحمن (بنت الشاطىء). ولا بد من الاستدراك هنا بان «التبعية» هذه لا معنى لها. فقد كان الزوجان السعيدان لا يشاهدان الا منفصلين عن بعضهما بحلقة من المعجبين والمريدين والاتباع . فغالبا ما كان الشيخ وحلقته في زاوية الشاي بقاعة الشعب، بينما كنت ترى في زاوية اخرى جماعة ضاعت في وسطها بنت الشاطىء. وحديث المعجبين ذو شجون ، لم ينج منهم احد : وكان يقصد الروائيين الشعبيين رتل بعد رتل من المراهقين ، صغارا وكبارا ، يحمل بعضهم دفاتر اوتوغراف وكأنهم يحملون النذور والقرابين. وتحدثت بنت الشاطىء عن « كتاب العربية الاوحد » ارتجالا من دون ورقة ، فبددت لي الحنق الذي اصابني وانا اجد رؤساء الوفود عشية افتتاح المؤتمر يقرأون من ورقة كلاما ليس فيه الا العواطف والسلامات والتحيات . ولكن حديث بنت الشاطىء عن القرآن واعجـــازه كان الحديث الوحيد الذي ارغم جميع السامعين ان يصغوا اليه بكل جوارحهم وكأنهم يصغون الى سمفونية او الى شاعر جاهلي يرتجل معلقة .

كل هذا وايام المؤتمر اعياد متواصلة الافراح ، كل يفرح على طريقته، وكان الطابع العام هذا اللقاء الجميل بين ادباء العربية واحدهم بالآخر من جهة ، وبين عباد الله القارئين واولئك الادباء من جهة اخرى . واحسب ان في هذا اللقاء اهمية عظمى للجميع . ولكن اين هي الناحية العملية من كل هذا ؟ لقد كان للمؤتمر لجان فرعية تجتمع صباح كل يوم لتناقش وتخطط وتوصي ؛ وفعلوا هذا كأحسن ما يكون. ولكن الم يحدث مثل هذا في المؤتمرات السابقة ؟ لقد كان الجميع ، وابرزهم الدكتور محمد يوسف نجم ، يريد الا يكون مصير هذه القرارات والتوصيات مصير سابقاتها التي لا تزال تغط في نوم عميق تحت اكداس الغبار في دوسيهات لا يعلم الا الله اين مرساها . جميل جدا ان نوصي ونقرر ونرى ضرورة العمل ، ولكن التزام الحكومات بتطبيق القرارات هو بالطبع البرهان الوحيد على ان هذه المؤتمرات لها مبرر وجود. وكان من جملة المقترحات العملية جدا ما تقدمت به سميرة عزام من استكتاب الاقلام الاجنبية لمناقشة مشكلة فلسطين على صعيد دولي ، ودعوة سهيل ادريس لسارتر لزيارة لبنان ليريه وضع اللاجئين الفلسطينيين في مخيماتهم .

لقد وجدت العواطف العربية والقومية والاشتراكية متنفسا في مهرجان الشعر . وهنا ايضا نتذكر ملاحظة يوسف ادريس حول مؤتمر الادباء الذي فهمه الجميع تقريبا وكأنه مهرجان شعر . لقد كانت قاعة الشعب شبه خالية في بعض ايام مؤتمر الادباء. اما ايام مهرجان الشعر فقد كان من الصعب ان تجد لك موطىء قدم ، — واعني هذا بصورة حرفية . وهذا يعني ان الواقفين كانوا اكثر من الجالسين ، على سعة القاعة ، وانا شخصيا اضطررت في احد الايام ان اسرق كرسي عامل التلفزيون واجلس عليها ورأسي في خطر من حركة آلة التصوير الضخمة ودوراتها المباغتة . كان الجميع يصفق ويستعيد ، ويصفق ويستعيد ، ولكل اشارة سياسية او غير سياسية. كان الحضور يصفقون لذكر الله ولذكر محمد والمسيح ولذكر زعماء العرب. وكانت الدكتورة سهير القلماوي دائمة الابتسام وهز الرأس ، وكانت اضواء التلفزيون تتراقص حول احمد عبد المعطي حجازي لاسباب خبيثة. كان الحضور يصفقون لشاعر يهاجم الشعر الحديث، وآخرون يصفقون لقصيدة غير عمودية. سوق عكاظ عجيب غريب. لقد تراءى لبعض الشعراء انه يلقي شعرا عربيا على جمهور من الاعاجم، فراح يشرح ماهية الشعر وفلسفته ورسالته . وكان لبعض الشعراء شيء من الحق ، فمواضيع مهرجان الادب حددت ولكن مواضيع مهرجان الشعر لم تحدد. فهذا يبدأ القصيدة بالغزل ، ويوشك ان يبكي على الاطلال. وذاك يذكر مغامراته اليوم وكأنه روميو عجوز يذكر شبابه او دراسته في بغداد ، ولا يلبث ان ينتقل الى الوطنية والسياسة انتقالا سريعا. فهذا النوع من الشعر يستدعي بطبيعة الحال كثيرا من الاستعادات والتصفيق.

وكان احمد رامي يصول ويجول بين الشواعر ويلقي بنوادره ذات اليمين وذات الشمال . وقد القى قصيدة عذبة الجرس يقول في آخرها : اذهبوا الى الطعان والنزال فانني سافرح « وانا بينكم اشعشع كأسي » . وقد عاش احمد رامي على مستوى امنياته : ففي وليمة فارهة في اطلال قصر العاشق بسامراء ، والكل ينتظر قطيع الغنم الذي اعد للغداء ذلك اليوم ، طلب رامي كأس ماء ، وعجب الجميع لعطشه قبل الغداء ، ولكنه اخرج من جيبه زجاجة ويسكي صغيرة وافرغها في الكأس. فاعجب الجميع بهذه الالتفاتة النواسية . وعلى ذكر ابي نواس ، قال صالح جودت في قصيدته ان وجودية سارتر مستمدة من فلسفة النواسي في الحياة لانه

« هنا الشرق منبعث الفلسفات ، ومنطلق القيم الزاهرة »، تلك القيم التي « لها جاذبية تمر العراق، يذوب على الشفة العاصرة » .

ومن جملة الفلسفات التي تصدى لها الشعراء فلسفة الشعر ، وكيف ان المحدثين « مسخوا المنظوم بل نثروا». قال احمد رامي على تلفزيون بغداد انه لا يعترف بالشعر الحر ، لانه لا يعترف بفن دون قيد. واغلب ظني ان رامي يفرق بين الشعر الحر والشعر الجديد،وهذا الاخير يعترف بطبيعة الحال بقيود الوزن والقافية، ولكن باسلوب يختلف عن اسلوب الخليل . ولكن الذي استطيع تأكيده ان موظف التلفزيون لا يفرق ، ومن خلفه عدد هائل من المتأدبين والمتشاعرين الذين عدوا رأي رامي انتصارا للقيم الثقافية الموروثة .

وكانت تدور في ممرات قاعة الشعب اشاعة مؤداها ان داعية من اكبر دعاة التجديد والانطلاق في الشعر العربي عاد اليوم الى القول بان من ينظم الشعر الحر هو شعوبي . و « الشعوبية » هي آخر التهم السياسية هذه الايام .

صَيف في مُوسكو وفي بلغراد شتاء

بلغراد ، من أناتول شب :

أكان بمحض الصدفة ، ام من السخرية المناسبة ، انه في الوقت عينه الذي اقصي فيه ليونيد ايليتشيف عن منصبه في موسكو ، اعلنت بلغراد اتهامها لميخالو ميخالوف ؟

اما ايليتشيف فهو بالطبع السوط الرهيب الذي كان مسلطا على شعراء روسيا الشباب وفنانيها الحديثين ومفكريها المعادين للستالينية في السنوات الاخيرة لحكم خروتشيف . واما ميخالوف فهو الباحثة اليوغسلافي الشاب الذي نشر مقالين بعنوان « صيف في موسكو ، ١٩٦٤ » في مجلة « ديلو » في بلغراد في كانون الثاني (يناير) وشباط (فبراير) الماضيين ، واعلن فيهما ثقته بقيام « ١٩٥٦ جديدة » في الحياة والادب في روسيا . وقد حكم عليه بالسجن لمدة تسعة اشهر « لانه اساء الى دولة اجنبية » ، اي روسيا ، ولانه ارسل مخطوطته للخارج بعد ان فرض الحظر على مجلة « ديلو » .

ايمكن القول ان تيتو بعمله هذا انما يقدم هذا المفكر اليوغسلافي كبش ضحية لموسكو — في الوقت ذاته الذي تبدو فيه موسكو على عتبة فترة جديدة من الحرية والتسامح في ميدان الفكر ؟

ان المشاكل القائمة الآن بين تيتو والمثقفين اليوغسلاف يمكن القول انها بدأت منذ زيارته للاتحاد السوفييتي في آخر ١٩٦٢ . فقد جرت هذه الزيارة في ذات الوقت الذي حدثت فيه حملة خروتشيف وايليتشيف ضد المثقفين الروس. وسرعان ما كرر تيتو صدى هذه الحملة. فاعلن في الرسالة التي وجهها في رأس سنة ١٩٦٣: « ان الوضع في حياتنا الثقافية والاخلاقية السياسية ليس كما نحبه ان يكون ... خصوصا في الادب وفي الفن بشكل عام ، ففيهما الكثير مما هو غريب عن اخلاقيتنا الاشتراكية ومما لا ينسجم معها ؛ فيهما الكثير مما يحاول ان يحيد بمجرى تطورنا عن الخط الذي حددته ثورتنا وان يتجه به في اتجاه آخر . وفيهما ظواهر انحطاطية متنوعة مجلوبة من الخارج . ان من واجبنا ان نحارب هذه الاشياء ، ليس من وجهة ادارية على الدوام ولكن بعمل سياسي » . وعاد تيتو الى الموضوع ذاته في خطاب القاه في ٣١ كانون الثاني (يناير) في مؤتمر الشبيبة .

واستقبل في ٦ شباط (فبراير) اللجنة التنفيذية لاتحاد الصحفيين في يوغسلافيا والقى فيهم محاضرة اخرى : « لقد رفع بعض الناس صوتهم عاليا ضدي لما قلته عن الثقافة ... فهم يقولون : ان تيتو يعرف كيف يدير الشؤون السياسية حق المعرفة، لكن ليس كفؤا لمعالجة الشؤون الثقافية . ان اولئك الذين يقولون مثل هذه الاشياء لا يدركون ، ايها الرفاق ، ما هو الحزب الشيوعي ، او ما هي الاشتراكية ، او ما هي